المبادئ الإنسانية في سورة يوسف وأثرها على الفرد والمجتمع

طه سالم محمد

الهيئة الليبية للبحث العلمي

ملخص البحث:

تُعد سورة يوسف عليه السلام من السور المباركة التي أوحى الله تعالى بها إلى رسوله صلى الله عليه وسلم، حيث تحتوي على قصة يوسف عليه السلام كاملة، وهي من أحسن القصص كما وصفها الله في مستهل السورة.

وعند التدبر في هذه السورة تتجلى مجموعة من القيم الإنسانية الرفيعة، منها ما هو محمود كالصبر، والصدق، والعفة، والكرم، ومنها ما هو مذموم، كالكذب، والحسد والمكر. تمثل هذه السورة بحق مدرسة أخلاقية تُعلم المؤمن كيفية مواجهة الصعاب بالصبر والثبات، وتربطه بالقيم النبيلة في كافة الظروف.

Research Summary:

Surah Yusuf (peace be upon him) is one of the blessed chapters revealed by Allah Almighty to His Messenger (peace and blessings be upon him). It contains the complete story of Prophet Yusuf, and it is described by Allah at the beginning of the chapter as "the best of stories".

Upon reflecting deeply on this Surah, a range of elevated humanitarian values becomes evident. These include commendable traits such as patience, honesty, chastity, and generosity, as well as blameworthy traits such as lying, envy, and deceit.

This Surah truly represents a moral school that teaches believers how to face hardships with patience and steadfastness, while staying connected to noble values in all circumstances.

المقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، وفضله على سائر الكائنات، والحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى والفرقان إلى الإنس والجان محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وبعد:

فسورة يوسف من السور التي أوحاها الله عز وجل إلى رسوله (صلى الله عليه وسلم) فهي تشتمل على قصة ولم تكن كأي قصة؛ بل هي من أحسن القصص كما قال الله تعالى فيها، وذلك لما تشتمل عليه من عبر، ينبغي لكل مسلم التحلي بها، والتمعن في آياتها، والتخلق بها؛ لأجل ذلك فكرت في بيان تلك المبادئ وإبرازها من خلال الوقوف والتعمق في آيات السورة.

فقد عنونت بحثي تحت مسمى:

(المبادئ الإنسانية في سورة يوسف وأثرها على الفرد والمجتمع).

أهمية الموضوع:

تتجلى أهمية الموضوع في التأكيد على التمسك والتخلق والتحلي بهذه المبادئ، والدعوة إليها والوقوف في وجه من يدعو إلى الفساد والرذيلة، ويحاول بث سمومه ليصرف الشباب إلى الرذيلة، والانحراف والبعد عن الأخلاق الإسلامية السمحة.

إشكاليات البحث:

تتلخص إشكاليات البحث في التساؤلات الآتية:

1. ما المبادئ الإنسانية المستنبطة من سورة يوسف؟
2. كيف تترسخ هذه المبادئ في النشء لننعم بمجتمع يسوده الأخلاق والمثل العليا كما حثّ عليه ديننا؟
3. ما الأساليب التي بها نحارب الانحرافات التي ترسخت في تصرفات شبابنا اليوم؟

أهداف الموضوع :

يهدف البحث إلى النقاط الآتية:

1. بيان مراد الله تعالى والكشف عنه في السورة.
2. بيان المبادئ الإسلامية السمحة والتأكيد عليها.
3. إقامة الحجج على من يزعم دحض تلك المبادئ بالأدلة والبراهين المنطقية.
4. بيان ما تشتمل عليه السورة من بأسلوب واضح ومفهوم ليتسنى للعامة فهمها ومعرفة مراده عز وجل.

سبب اختيار الموضوع:

لا شك أن كل باحث يختار موضوعه الذي يريد الكتابة فيه لسبب ودافع يدفعه لذلك فكان السبب من ورائه اندفاع الباحث ورغبته في كتابة هذا الموضوع هو حب بيان مراد الله تعالى والغوص فيه، والوقوف على أسراره من خلال السورة، ولا سيما المبادئ الإنسانية التي جاءت في السورة.

الدراسات السابقة:

لم أكن وحدي ممن تناول هذا الموضوع بالتأمل والدراسة، فقد حاولت الوقوف على الغايات التربوية الكامنة في السورة، والسعي لوضع حلول واقعيه، للحد من مظاهر سوء الخلق المنتشرة لدى بعض أفراد مجتمعاتنا اليوم، وقد تبين من استقرائي لبعض الدراسات، أنها ركزت على إبراز القيم الإنسانية دون وضع للحلول مباشرة وواضحة، ومن تلك الدراسات:

- القيم الأخلاقية المحمودة والقيم الأخلاقية المذمومة في سورة يوسف عليه السلام، محمد إبراهيم الخطيب ،جامعة الإسراء الخاصة، الأردن.
- القيم التربوية في سورة يوسف عليه السلام، نزهة محمد محمد عثمان، جامعة سبها ليبيا.

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي القائم على التعمق في جزئيات الموضوع بدقة بالتحليل والشرح، واستنباط الأحكام منها.

هيكلية البحث:

تشتمل الدراسة على مقدمة، وتمهيد ومبحثين وبيان ذلك على النحو الآتي:

التمهيد– ويشتمل على بيان السورة وسبب تسميتها، وموقعها من السور، وعدد آياتها، وكونها مكية أم مدنية، وعلاقة السورة بما قبلها وبعدها.

المبحث الأول– ويشتمل على الصفات الإنسانية المحبوبة والمرغوب فيها، كما حثت عليها السورة من: الصدق، والصبر، والتسامح.

المبحث الثاني– يشتمل على الصفات الإنسانية المذمومة من: الحسد، والكيد، والمكر.

وختم بخاتمة مشتملة على أهم النتائج.

التمهيد:

سميت هذه السورة بهذا الاسم وليس لها اسم غيره، فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ حَجَرٍ فِي كِتَابِ «الْإِصَابَةِ» فِي تَرْجَمَةِ رَافِعِ بْنِ مَالِكٍ الزُّرَقِيِّ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ أَنَّ أَبَا رَافِعِ بْنَ مَالِكٍ أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ الْمَدِينَةَ بِسُورَةِ يُوسُفَ[1]، وسبب تسميتها بهذا الاسم فهو واضح؛ لأنها قصت قصة يوسف كلها في هذه السورة، ولم تذكر قصته في غيرها، ولم يذكر اسمه في غير هذه السورة إلا في سورة غافر والأنعام[2].

1 الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية– بيروت، ط–1، 1415هـ، 2/ 370.

2 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر– تونس، 1984هـ، 12/ 197.

والعلة في عدم تكرار القصة في مواضع أخر من القرآن لعدة أسباب، فقد أورد صاحب الإتقان العلة في بعض الأسباب بقوله: "أَحَدُهَا: أَنَّ فِيهَا تَشْبِيبَ النِّسْوَةِ بِهِ وَحَالَ امْرَأَةٍ ونسوة افتتن بِأَبْدَعِ النَّاسِ جَمَالًا، فَنَاسَبَ عَدَمَ تَكْرَارِهَا لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِغْضَاءِ وَالسِّتْرِ، وَقَدْ صَحَّحَ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ حَدِيثَ النَّهْيِ عَنْ تَعْلِيمِ النِّسَاءِ سُورَةَ يُوسُفَ.

ثَانِيهَا: أَنَّهَا اخْتَصَّتْ بِحُصُولِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ بِخِلَافِ غَيْرِهَا مِنَ الْقَصَصِ، فَإِنَّ مَآلَهَا إِلَى الْوَبَالِ كَقِصَّةِ إِبْلِيسَ وَقَوْمِ نُوحٍ، وَهُودٍ، وَصَالِحٍ، وَغَيْرِهِمْ، فَلَمَّا اخْتُصَّتْ بِذَلِكَ اتَّفَقَتِ الدَّوَاعِي عَلَى نَقْلِهَا لِخُرُوجِهَا عَنْ سَمْتِ الْقَصَصِ.

ثَالِثُهَا: قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الْإِسْفَرَايِينِيُّ إِنَّمَا كَرَّرَ اللَّهُ قِصَصَ الْأَنْبِيَاءِ وَسَاقَ قِصَّةَ يُوسُفَ مَسَاقًا وَاحِدًا، إِشَارَةً إِلَى عَجْزِ الْعَرَبِ كَأَنَّ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُمْ: إِنْ كَانَ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي فَافْعَلُوا فِي قِصَّةِ يُوسُفَ مَا فَعَلْتُ فِي سَائِرِ الْقَصَصِ.

رَابِعُهَا: وَهُوَ أَنَّ سُورَةَ يُوسُفَ نَزَلَتْ بِسَبَبِ طَلَبِ الصَّحَابَةِ أَنْ يَقُصَّ عَلَيْهِمْ كَمَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ، فَنَزَلَتْ مَبْسُوطَةً تَامَّةً؛ لِيَحْصُلَ لَهُمْ مَقْصُودُ الْقَصَصِ مِنَ اسْتِيعَابِ الْقِصَّةِ وَتَرْوِيحِ النَّفْسِ بِهَا وَالْإِحَاطَةِ بِطَرَفَيْهَا.[1]

إنّ أقوى ما يُجاب به عن تصريف قصص الأنبياء، إذ الغرض منها هو إظهار عاقبة من كذبوا رسلهم، والحاجة إلى تصريف هذه القصص تنبع من كثرة تكذيب الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلّما كذبوا، أُنزلت قصة تحذيرية تبين حلول العذاب كما حل بالمكذبين السابقين. ولهذا قال تعالى في آياته: ﴿وَإِن يَعُودُواْ فَقَد مَضَت سُنَّتُ ٱلأَوَّلِينَ﴾.[2] ﴿أَلَم يَرَواْ كَم أَهلَكنَا مِن قَبلِهِم مِّن قَرن﴾[1] مع العلم أن قصة يوسف عليه السلام ليست مقصودة بذلك.[2]

1 الإتقان في علوم القرآن، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394، 231/3.

2 – سورة الأنفال: الآية38.

وهي من السور المكية على رأي أغلب العلماء، وعدد آياتها مائة وإحدى عشرة آية بلا خلاف بين العلماء في عدها، وكلماتها أَلْف وسبعمائة وستّ وسبعون، وحروفها سبعة آلاف ومائة وست وستُّون، وليس فيها ناسخ ومنسوخ[3].

قال ابن عباس– رضي الله عنهما: "نزلت بمكة فهي مكية، قيل: إن أول سورة حُمِلت من مكة إلى المدينة سورة يوسف، انطلق بها عوف بن عفراء في الثمانية الذين قدموا على رسول الله– صلى الله عليه وسلم– وهو أول من أسلم من الأنصار، قرأها على أهل المدينة في بني زريق فأسلم يومئذ بيوت من الأنصار[4]. قال الزمخشري: "إن كل آياتها مكية إلا الآيات 1 و 3 و 7 فمدنية[5]".

وسبب نزولها فيه أقوال:

قيل بسبب سؤال اليهود عن قصة يوسف لذلك نزلت.

وقيل إنه روي أن اليهود أمروا كفار مكة أن يسألوا رسول الله– صلى الله عليه وسلم– عن السبب الذي أحل ببني إسرائيل بمصر، فنزلت السورة. وقيل: سبب نزولها تسلية رسول الله– صلى الله عليه وسلم– عما يفعله به قومه بما فعل إخوة يوسف بيوسف[6].

روي عن سعد بن أبي وقاص– رضي الله عنه– قال: أُنزل القرآن على رسول الله– صلى الله عليه وسلم – فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا، فأنزل

---

1 – سورة الأَنعَام : الآية 6.

2– ينظر:الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ–1974م، 3/ 232.

3– ينظر: بصائر ذوي التمييز، سبق الإشارة إليه، 255/1.

4– البرهان في علوم القرآن، أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط–1، 1376هـ1957م، 203/1.

5– ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، دار الكتاب العربي– بيروت، ط– 3، 1407هـ، 440/2.

6– ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية– بيروت، ط–1، 1422هـ، 218/3.

الله تعالى: ﴿الٓر تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّا لَّعَلَّكُم تَعۡقِلُونَ نَحنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوحَينَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾[1] فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله، لو حدثتنا، فأنزل الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبا مُّتَشَٰبِها مَّثَانِيَ﴾[2] كل ذلك يؤمرون بالقرآن.[3]

وقال عون بن عبدالله: ملّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مَلَّة، فقالوا: يا رسول الله حدِّثنا، فأنزل الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ﴾ ثم إنهم ملوّا مَلَّة أخرى، فقالوا: يا رسول الله، فوق الحديث، ودون القرآن، يعنون القصص، فأنزل الله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ فأراد الحديث، فدلهم على أحسن الحديث، وأرادوا القصص، فدلهم على أحسن القصص[4]. في قوله: ﴿لَقَد كَانَ فِي قَصَصِهِم عِبرَة لِّأُوْلِي ٱلأَلۡبَٰبِ﴾.[5]

سورة يوسف تحوي على قصة، وليست كأي قصة! فهي أحسن قصة أخبر عنها عز وجل بأسلوب بياني أعجز بلغاء المشركين، وفي الوقت ذاته فإنها تحوي على عظات وعبر إنسانية لها كثير الأثر يظهر من خلال آياتها، وليس المقصود منها أنها أحسن قصص القرآن؛ بل إن كل قصة وردت في القرآن أحسن في بابها، فكل ما ورد من الله من قصص فهو حسن، لحسن نظمه وإعجاز أسلوبه وما يتضمنه من حكم وعبر[6].

1- سورة يُوسُف الآية:1 ـ 3.

2- سورة الزُّمَر الآية: 23.

3- لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، خرج أحاديثه أبو عبدالله محمود بن الجميل، دار البيان الحديثة . القاهرة، ط . 1، 1423هـ، ص 158.

4- زاد المسير في علم التفسير جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط-1، 1422هـ، 411/2.

5- سورة يوسف: الآية- 111.

6- ينظر: التحرير والتنوير، سبق الإشارة إليه، 197/12.

المبحث الأول– الصفات المحمودة في السورة:

أولاً– الصدق:

إنّ الله سبحانه وتعالى حبا الإنسان بالعقل، ووضع فيه استحسان الصفات المحبوبة، كالصدق، وجعله ينبذ ويستهجن أضدادها كالكذب.

الصدق لغة: ضد الكذب، والمصدق: هو من يصدقك في الحديث، والمتصدق: من يعطي الصدقة، والصداقة: المخالة[1].

وفي اصطلاح أهل الحقيقة: قول الحق في مواطن الهلاك، وقيل: أن تصدق في موضع لا ينجيك منه إلا الكذب[2].

وتظهر أهمية الصدق كما قال ابن القيم: "وَهِيَ مَنْزِلَةُ الْقَوْمِ الْأَعْظَمِ الَّذِي مِنْهُ تَنْشَأُ جَمِيعُ مَنَازِلِ السَّالِكِينَ، وَالطَّرِيقُ الْأَقْوَمُ الَّذِي مَنْ لَمْ يَسِرْ عَلَيْهِ فَهُوَ مِنَ الْمُنْقَطِعِينَ الْهَالِكِينَ. وَبِهِ تَمَيَّزَ أَهْلُ النِّفَاقِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَسُكَّانُ الْجِنَانِ مِنْ أَهْلِ النِّيرَانِ. وَهُوَ سَيْفُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ الَّذِي مَا وُضِعَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا قَطَعَهُ، وَلَا وَاجَهَ بَاطِلًا إِلَّا أَرْدَاهُ وَصَرَعَهُ، مَنْ صَالَ بِهِ لَمْ تُرَدَّ صَوْلَتُهُ، وَمَنْ نَطَقَ بِهِ عَلَتْ عَلَى الْخُصُومِ كَلِمَتُهُ، فَهُوَ رُوحُ الْأَعْمَالِ، وَمَحَكُّ الْأَحْوَالِ، وَالْحَامِلُ عَلَى اقْتِحَامِ الْأَهْوَالِ، وَالْبَابُ الَّذِي دَخَلَ مِنْهُ الْوَاصِلُونَ إِلَى حَضْرَةِ ذِي الْجَلَالِ، وَهُوَ أَسَاسُ بِنَاءِ الدِّينِ، وَعَمُودُ فُسْطَاطِ الْيَقِينِ. وَدَرَجَتُهُ تَالِيَةٌ لِدَرَجَةِ النُّبُوَّةِ الَّتِي هِيَ أَرْفَعُ دَرَجَاتِ الْعَالَمِينَ."[3]

1– ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين– بيروت ط: 1407،4 هـ– 1987م، 1506/4، (مادة: ص د ق).

2– كتاب التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط: 1، 1403هـ– 1983م، ص– 132.

3– مدارج السالكين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي–بيروت، ط–3، 1416هـ–1996م، 2/ 257.

قال الجنيد: "حقيقة الصدق أن تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب"[1] والصدق عماد الأمر وَبِهِ تمامه وفيه نظامه، وَهُوَ تالي درجة النبوة[2]. قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾[3].

"إن نعمة العقل التي منحنا الله إياها تُمكّننا من التمييز بين الصدق والكذب، فنُدرك أن الصدق هو سبيل النجاة للعبد، وقد بيّنت لنا أحداث سورة يوسف– عليه السلام– صدقه حين فضّل البقاء في السجن على الخروج إلا بعد إثبات براءته، حيث ظهر الحق بوضوح باعتراف امرأة العزيز ببراءته حين قالت: ﴿أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾. هذا الاعتراف منها يشهد لنزاهته وكرامته، ويثبت صدق يوسف عليه السلام، وما من حجة تبقى بعد اعتراف الخصم بأن صاحبه على حق، والآخر على باطل.[4]

تدعونا السورة إلى التحلّي بالصدق؛ لما فيه من نجاة، وينبغي لنا أن نربي أبناءنا على هذه الفضيلة منذ الصغر، مُبينين لهم جزاء قول الحق وأثره الطيب، وقبل ذلك نقدم الوسائل التي تجعل المؤمن صادقًا.

الوسائل المعينة على الصدق:

1– مراقبة الله تعالى: إن إيمان المرء بأن الله عز وجل معه يبصره ويسمعه، يدفعه للخشية والتحفظ، قال الله تعالى: ﴿أَلَم تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلأَرضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُم وَلَا خَمسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُم وَلَآ أَدنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ

1– المصدر نفسه، 3 /20.

2– الرسالة القشيرية: عبد الكريم بن هوازن بن عبدالملك القشيري (المتوفى: 465هـ) تحقيق: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، 2/ 363.

3– سورة النساء: الآية– 69.

4– ينظر : تفسير الكشاف 2/ 478.

أَكثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُم أَينَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَومَ ٱلقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

2- الحياء: الحياء يحجب صاحبه عن كل ما هو مستقبح، شرعاً وعرفاً، والمرء يستحيي أن يُعرف بين الناس أنه كذاب، وهذا هو الذي حمل أبا سفيان- وهو يومئذ مشرك- أن يصدق هرقل وهو يسأله عن- النبي صلى الله عليه وسلم ـ قال أبو سفيان: "فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذباً لكذبت عنه"[2]، أي: ينقلوا عليَّ الكذب لكذبت عليه. قال ابن حجر: "وفيه دليل على أنهم كانوا يستقبحون الكذب، إما بالأخذ عن الشرع السابق، أو بالعرف، وقد ترك الكذب استحياء وأنفة من أن يتحدثوا بذلك بعد أن يرجعوا فيصير عند سامعي ذلك كذباً"[3]. فالمسلم أولى بالصدق.

3- صحبة الصادقين:

أمر الله- عز وجل- المؤمنين أن يكونوا مع أهل الصدق، فقال- عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.[4] أي: اقتدوا بهم واسلكوا سبيلهم، وهم الذين استوت ظواهرهم وبواطنهم، ووفوا بعهودهم وصدقوا في أقوالهم وأعمالهم[5].

4- إشاعة الصدق في الأسرة:

"الإسلام يوصي أن تغرس فضيلة الصدق في نفوس الأطفال، حتى يشبوا عليها، وقد ألفوها في أقوالهم وأحوالهم كلها"[6].

1- سورة المُجَادلَة: الآية 7.

2- صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله، حديث رقم7.

3- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة- بيروت، 1379هـ، 1/ 35.

4- سورة التوبة: الآية- 119.

5- ينظر: الكشاف، 2 / 320.

6- موسوعة الأخلاق الاسلامية، مجموعة من الباحثين بإشراف علوي بن عبدالقادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، 1/ 342.

فعن عبدالله بن عامر قال: لا دعتني أمي يوماً ورسول الله- صلى الله عليه وسلم- قاعد في بيتنا، فقالت: تعال أعطك، فقال لها- صلى الله عليه وسلم: ما أردت أن تعطيه؟ قالت: أردت أن أعطيه تمراً، فقال لها: أما لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة"[1]. هذا الحديث يبين لنا كيف نربي أطفالنا على فضيلة الصدق.

5- الدعاء:

لما كان حمل النفس على الصدق في جميع أمورها شاق عليها، ولا يمكن لعبد أن يأتي به على وجهه إلا بإعانة الله له وتوفيقه إليه، أمر الله نبيه أن يسأله الصدق في المخرج والمدخل[2]، فقال عز وجل: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدخِلنِي مُدخَلَ صِدق وَأَخرِجنِي مُخرَجَ صِدق وَٱجعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلطَٰنا نَّصِيرا﴾.[3]

6- معرفة وعيد الله للكذابين وعذابه للمفترين:

قد جاءت النصوص الكثيرة التي تحذر من الكذب وتبين سوء عاقبته في الدنيا والآخرة ؛ ولهذا فإن تذكير النفس يعين المرء على الصدق في أحواله كلها[4].

ويمكن وضع خطوات تساعد في تربية أبناءنا وتنشئتهم على الصدق في الآتي:

1- كن قدوة حسنة:

أهم خطوة في تربية الأبناء على الصدق ، أن تكون قدوة حسنة لهم، وأن تكون حريصا صادقًا في جميع أقوالك وأفعالك، حتى في الأمور الصغيرة، وتذكر أن أطفالك يتعلمون من خلال الملاحظة، وسيتبعون سلوكياتك دون أن تطلب منهم

1- أخرجه أبي داود في سننه، كتاب: الأدب، باب في التشديد في الكذب، حديث رقم4991.

2- ينظر: التفسير الوسيط، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط-1، 1393هـ- 1973م، 5 /793. وموسوعة الأخلاق الإسلامية، سبق الإشارة إليه، ص- 342.

3- سورة الإسراء: الآية-80.

4- موسوعة الأخلاق الإسلامية، مرجع سابق، ص-342.

ذلك، وتحدث معهم عن أهمية الصدق، وناقش معهم الأمثلة الواقعية للصدق والكذب وكيف تؤثر على حياة الناس، وارو لهم القصص والحكايات التي تُعزز قيمة الصدق.[1]

2. شجّع أطفالك على قول الحقيقة، حتى لو كانت صعبة:

ينبغي للأب أن يشجع أطفاله على قول الحقيقة، من خلال مدحهم عند صدقهم، وأن يساعدهم على فهم أن الصدق هو الخيار الأفضل دائمًا، حتى في المواقف القصيرة الأمد، ويذكّرهم بأنه دائمًا إلى جانبهم لدعمهم مهما قالوا أو فعلوا.

3. لا تُعاقب أطفالك على الكذب بشكل قاسٍ:

تجنب معاقبة أطفالك بشدة على الكذب؛ لأن العقاب القاسي قد يدفعهم إلى الكذب أكثر خوفًا من النتائج بدلاً من التعلم، بدلاً من ذلك، ركز على تعليمهم من أخطائهم وشرح عواقب الكذب بطريقة هادفة.

4. خلق بيئة آمنة ومفتوحة للتواصل:

يجب الحرص على خلق بيئة آمنة ومفتوحة للتواصل داخل المنزل، حيث يشعر أطفالك بالراحة للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم دون خوف من الحكم أو العقاب، استمع إليهم باهتمام وتعاطف، وكن دائمًا متفهمًا لمشاعرهم.

5. كن صبوراً:

تحلَّ بالصبر، فتعليم الأبناء الصدق يتطلب وقتًا وجهدًا مستمرين، لا تتوقع منهم أن يصبحوا صادقين تمامًا بين ليلة وضحاها؛ بل استمر في تشجيعهم ودعمهم، وسترى كيف يتعلمون تدريجيًا قيمة الصدق.[2]

1- ينظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق: أبو اليزيد أبو زيد العجمي دار النشر: دار السلام- القاهرة، 1428 هـ- 2007 م، ص- 232.

2- ينظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص232.

ثانيًا– الصبر:

الصبر في اللغة له عدة معان منها: الحبس، يقال صبرت نفسي على ذلك الأمر أي حبستها. ويرد بمعنى أعلى الشيء: فيقال ملئت الإناء إلى أصباره أي أعلاه. وترد لفظة الصبر للحجارة إذا اشتدت وغلظت[1].

الصبر في الاصطلاح الشرعي:

الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى[2].

الصبر ضربان: جسمي ونفسي.

فالجسمي هو: تحمل المشاق بقدر القوة البدنية ونهايته معلومة، وأكثرها لذوي الجسوم الخشنة وليس ذلك بفضيلة تامة، وذلك في الفعل؛ كالمشي، ورفع الحجر الثقيل، وفي الانفعال؛ كالصبر على المرض، واحتمال الضرب والقطع.

والثاني نفسي: وبه تتعلق الفضيلة، وذلك ضربان:

صبر عن تناول مشتهى ويقال له: العفة، وصبر على تحمل مكروه أو محبوب؛ وذلك تختلف أسماؤه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان ذلك في نزول مصيبة فإنه لم يتعد به اسم الصبر، ويضاده الجزع والهلع والحزن، وإن كان في احتمال غنى فقد يسمى ضبط النفس، ويضاده الترفع والبطر، وإن كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن، وإن كان في نائبة مضجرة سمي سعة الصدر، ويضاده ضيق الصدر والضجر والتبرم، وإن كان في إمساك كلام في الضمير سمي كتمان الشر، ويضاده الإفشاء، وإن كان في الإمساك عن فضولات العيش سمي

1– ينظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ– 1979م، 3/ 330.

2– إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) دار المعرفة– بيروت، 4/ 65.

قناعة وزهدًا، وهذا يضاده الشره والحرص، ويكون الصبر عاما قال اللَّه تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِ﴾[1].

قال الزمخشري: "إنهم يصبرون في البأساء، أي: في الفقر والشدة، والضراء، أي: في المرض والمصيبة، وحين البأس، أي: في المحاربة.[2] فإن قيل: ما معنى قول النبي– صلى الله عليه وسلم: "الصبر نصف الإيمان"[3]، قيل: لما كان جميع المحامد ضربين: ترك الشر– ويعبر عنه بالصبر– وفعل الخير– ويعبر عنه بالشكر– صار الصبر الذي هو ترك الشر نصف الإيمان[4].

العبد في حاجة مستمرة إلى الصبر، فلا يغني عنه في أي حال من الأحوال، فهو يمر في حياته بنوعين من الأحوال: النوع الأول ما يوافق الهوى، كالصحة والسلامة، والمال، والجاه، وكثرة العشيرة، واتساع الأسباب، وكثرة الأتباع والأنصار، وجميع ملاذ الدنيا، وإن من أعظم ما يحتاجه العبد هو الصبر على هذه الأمور؛ إذ إن عدم ضبط النفس عن التعلق بها والانغماس فيها، حتى وإن كانت مشروعة، يؤدي به إلى الغرور والطغيان.

أما النوع الثاني فهو ما لا يوافق الهوى والطبع، وينقسم إلى ثلاثة أقسام: الأول مرتبط باختيار العبد كالأعمال الطيبة والسيئات، فالعبد يحتاج إلى الصبر على الطاعات التي تبعد النفس عن رغباتها، وكذلك الصبر على ترك المعاصي، قال تعالى:

1– سورة البقرة ، الآية 177.

2– ينظر: تفسير الكشاف، 1/ 220.

3– المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد، مكتبة بن تيمية، ط2، حديث رقم 8544، 9/ 144.

4– الذريعة إلى مكارم الشريعة، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ) تحقيق: أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام– القاهرة ،1428 هـ– 2007 م، ص– 232.

﴿وَيَنهَىٰ عَنِ ٱلفَحشَآءِ وَٱلمُنكَرِ وَٱلبَغيِ﴾[1]، وقال صلى الله عليه وسلم "المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه"[2].

أما القسم الثاني فهو ما لا يرتبط انتخابه بالعبد، كالمصائب والابتلاءات التي تصيبه، فعليه الصبر بالرضا والتسليم، كما فعل نبي الله يعقوب عليه السلام عندما أصابه ألم فقد ولديه وابيضت عيناه من الحزن، قال تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنهُم وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبيَضَّت عَينَاهُ مِنَ ٱلحُزنِ فَهُوَ كَظِيم﴾.

والقسم الثالث ما لا يرتبط باختياره، لكنه له اختيار في دفعه، كالرغبة في الانتقام ممن آذى، فالصبر هنا قد يكون واجبًا أو فضيلة.[3]

ينبغي أن نربي أبناءنا على قيمة الصبر من خلال أن نكون لهم قدوة في التحلي به عند مواجهة المواقف الصعبة، مثل الانتظار لفترات طويلة، أو التعامل بهدوء مع الشخص الغاضب، كما يجب أن نوضح لهم أهمية الصبر في الوصول إلى الأهداف المرجوة في الحياة، ونروي لهم قصصًا تحث على الصبر، وتُبين جزاء الصابرين، بالإضافة إلى تكليفهم بمهام تتطلب الصبر ومكافأتهم عند ثباتهم وتحملهم في المواقف الصعبة.

ثالثا– التسامح:

التسامح في اللغة بمعنى التساهل[4].

التسامح: هو ألا يعلم الغرض من الكلام، ويحتاج في فهمه إلى تقدير لفظٍ آخر.

التسامح: استعمال اللفظ في غير الحقيقة بلا قصد علاقة معنوية، ولا نصب قرينة دالة عليه، اعتمادًا على ظهور المعنى في المقام، فوجود العلاقة بمعنى التسامح[1].

1– سورة النَّحل الآية: 90.

2– أخرجه الإمام أحمد في مسنده تحقيق: شعيب الارناؤوط وآخرون، مؤسسه الرسالة، ط2، 1421 هـ، 2001 م حديث رقم 6925.

3– ينظر: إحياء علوم الدين، سبق الإشارة إليه، 4/ 65 وما بعدها.

4– الصحاح للجوهري، سبق الإشارة إليه، 1/ 376.

التسامح في الاصطلاح الشرعي: هو العفو عما ينبغي أن يخضع للعقاب[2].

والتسامح من المبادئ التي أمر بها الإسلام، وأمرنا بأن نسامح الجميع دون استثناء، وإلا فسوف يحمل الإنسان في قلبه الغل والحقد والغضب والشك، وتجد نفسك تحمل طاقة سلبية ليس لها داع إطلاقا، فالتسامح من صفات الأقوياء، ويكون لله- عز وجل- وليس للناس[3]، فقال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلعَفوَ وَأمُر بِٱلعُرفِ وَأَعرِض عَنِ ٱلجَٰهِلِينَ﴾[4].

فالتسامح والعفو والرحمة حين يصدر من نفس كبيرة وعقل راجح، يطيب النفوس ويؤدي إلى الصداقة والتآلف[5]، قال- عز وجل: ﴿وَإِن تَعفُواْ وَتَصفَحُواْ وَتَغفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُور رَّحِيمٌ﴾[6].

تسامح يوسف- عليه السلام- مع إخوته على الرغم من أنهم تعرضوا إليه بجميع المكائد، وعندما تقلَّد منصباً عالياً في مصر وصار له سلطان، قابلهم بالتسامح والعفو حين قدموا إليه طالبين المساعدة؛ بل قال لهم: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيكُمُ ٱليَومَ يَغفِرُ ٱللَّهُ لَكُم وَهُوَ أَرحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ فهو لم ينتقم منهم؛ بل عفا عنهم ودعا لهم بالمغفرة.

«وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى لَا إِفْسَادَ لِمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنَ الْحُرْمَةِ، وَحَقِّ الْإِخْوَةِ، وَلَكُمْ عِنْدِي الْعَفْوُ وَالصَّفْحُ، وَأَصْلُ التَّثْرِيبِ الْإِفْسَادُ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى

1- التعريفات للجرجاني، سبق الإشارة إليه، ص-57.

2- تكملة المعاجم العربية، رينها رت بيتر آن دُوزِي، نقله للعربية: محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة والإعلام- العراق، ط-1، من1979- 2000 م، 25/11.

3- ينظر: الطريق إلى الامتياز، إبراهيم الفقيه، دار الراية للنشر والتوزيع، ط-1، 1430هـ-2009م، ص-34.

4- سورة الأَعرَاف، الآية: 199.

5- ينظر: التوجيه والإرشاد النفسي، حامد عبدالسلام زهران، عالم الكتب، ط-3، ص-357.

6- سورة التغابن، الآية 14.

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِعُضَادَتَيِ الْبَابِ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَقَدْ لَاذَ النَّاسُ بِالْبَيْتِ فَقَالَ:" الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ" ثُمَّ قَالَ:" مَاذَا تَظُنُّونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ" قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ وَقَدْ قَدَرْتَ، قَالَ:" وَأَنَا أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفَ" لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ"" فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَفِضْتُ عَرَقًا مِنَ الْحَيَاءِ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَلِكَ أَنِّي قَدْ كُنْتُ قُلْتُ لَهُمْ حِينَ دَخَلْنَا مَكَّةَ: الْيَوْمَ نَنْتَقِمُ مِنْكُمْ وَنَفْعَلُ، فَلَمَّا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ قَوْلِي. (يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ) مُسْتَقْبَلٌ فِيهِ مَعْنَى الدُّعَاءِ، سَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَسْتُرَ عَلَيْهِمْ وَيَرْحَمَهُمْ»[1].

ينبغي لنا كمسلمين أن نستلهم روح المبادئ والقيم الإسلامية السمحة، ونعمل على تربية أبنائنا على هديها؛ لنحقق بذلك أواصر المحبة والتسامح التي تزين مجتمعاتنا الإسلامية.

المبحث الثاني– الصفات المذمومة الواردة في السورة:

أولاً– الكيد والمكر:

الكيد في اللغة بمعنى المكر، وفــلان يكيد بنفسه أي يجود بها والكيـد: الحرب، والقيء، وإبطاء الزند لإخراج ناره، وصياح الغراب بجهد[2].

والمكر: احتيال في خفية، والمكر احتيال بغير ما يضمر، والاحتيال بغير ما يبدي هو الكيد[1].

ويرى ابن عاشور أن الكيد مرادف للمكر وأنهما بمعنى واحد[2].

1– تفسير القرطبي 9/ 258.

2– ينظر: مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان، مؤسسة الرسالة– بيروت، ط–2، 1406هـ–1986م، 1/ 774.

والكيد: إرادة مضرة الغير خفية، وهو من الخلق: الحيلة السيئة، ومن الله: التدبير بالحق لمجازاة أعمال الخلق[3].

المكر: من جانب الحق تعالى: هو إرداف النعم مع المخالفة، ولإبقاء الحال مع سوء الأدب، وإظهار الكرامات من غير جهد، ومن جانب العبد: إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر[4].

والمكر والخديعة على ضربين:

أحدهما مذموم: وهو الأشهر عند الناس والأكثر، وذلك أن يقصد فاعله إنزال مكروه بالمخدوع وهو الذي قصده النبي- صلى الله عليه وسلم- بقوله: "المكر والخديعة في النار" والمعنى: أنهما يؤديان بقاصدهما إلى النار.

والثاني على عكس ذلك وهو أن يقصد فاعلهما إلى استجرار المخدوع والممكور به إلى مصلحة لهما، كما يفعل بالصبي إذا امتنع من تعلم الخير، وقد قال بعض الحكماء:

المكر والخديعة محتاج إليهما في هذا العالم، وذلك أن السفيه يميل إلى الباطل، ولا يميل إلى الحق، ولا يقبله لمنافاته لطبعه، فيحتاج أن يخدع عن باطله بزخارف مموهة، كما يخدع الطفل عن الثدي عند الفطام، ولهذا قيل في مثل: مخرق بأنها الدنيا مخاريق، وليس هذا حث على تعاطي الخبث؛ بل هو حث على جذب الناس إلى الخير بالاحتيال، ولكون المكر والخديعة ضربين: سيئًا وحسنًا قال اللَّه

1- ينظر: العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي- إبراهيم السمرائي، دار ومكتبة الهلال، 370/5.

2- ينظر: التحرير والتنوير، 192/9.

3- التعريفات، سبق الإشارة إليه، ص- 189.

4- المرجع السابق، ص- 227.

تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُم عَذَاب شَدِيد وَمَكرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[1] وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم نَذِير مَّا زَادَهُم إِلَّا نُفُورًا ٱستِكبَارا فِي ٱلأَرضِ وَمَكرَ ٱلسَّيِّيِٕ وَلَا يَحِيقُ ٱلمَكرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهلِهِ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلأَرضَ﴾[3].

فخص في هذه الآيات السيء من المكر تنبيهًا على جواز المكر الحسن، فقال: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيرُ ٱلمَٰكِرِينَ﴾[4].

وأما الكيد: فإرادة متضمنة لاستتار ما يراد عمن يراد به، وأكثر ما يستعمل ذلك في الشر، ومتى قصد به الشر فمذموم، ومتى قصد به خير فمحمود[5]، قال- عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ كِدنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾.

تعرض يوسف- عليه السلام- بمحن ومكائد، كيد إخوته، وكيد امـرأة العزيز، فكان كيدهم نتيجة الحسد والكره والمكر.

﴿لَّقَد كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخوَتِهِۦٓ ءَايَٰت لِّلسَّآئِلِينَ إِذ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحنُ عُصبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰل مُّبِينٍ﴾، أي حين قالوا: والله ليوسف وأخوه أحبُّ منَّا عند أبينا، أرادوا أن زيادة محبته لهما أمر ثابتٌ، وإنما قالوا وَأَخُوهُ وهم جميعاً إخوة؛ لأن أمهما كانت واحدة، والحال نحن جماعة، نقدر على النفع والضر، وخروجٍ أبانا عن الصواب بيّن واضح؛ لإيثاره يوسف وأخاه علينا بالمحبة.[6] قال القرطبي: لم

1- سورة فَاطِر الآية: 10.

2- سورة فَاطِر الآية: 42.

3- سورة النحل، الآية 45.

4- سورة آل عمران، الآية 54.

5- الذريعة إلى مقاصد الشريعة، سبق الإشارة إليه، ص- 255.

6- ينظر: صفوة التفاسير 37/2.

لم يريدوا ضلال الدين؛ إذ لو أرادوه لكفروا، وإنما أرادوا أنه في خطأ بيِّن في إيثار اثنين على عشرة.[1]

تعرض عليه السلام لمحنة عظيمة تمثلت في إغراء زوج العزيز، وصمد أمام هذه الفتنة العارمة، مظهرًا عفةً ونقاءً في نفسه، حتى فضّل السجن على الوقوع في الفاحشة، مما يعد دليلاً قويًا على طهارته وامتلاكه للإيمان الراسخ.[2]

يجب علينا تربية أبنائنا على الصدق والابتعاد عن المكر والخداع، وذلك بأن نكون لهم قدوة حسنة نلتزم فيها بالصدق في جميع تصرفاتنا وسلوكياتنا معهم ومع الآخرين، كما ينبغي لنا تعريفهم بعاقبة الخيانة والمكر عبر سرد القصص الواقعية التي تبرز نتائج هذه الأفعال.

ثانيًا- الحسد:

الحسد في اللغة: هو تمني زوال النعمة عن غيره[3].

في عرف الشرع الحسد: أن يرى الرجل لأخيه نعمة، فيتمنى أن تزول عنه، وتكون له دونه[4].

والغبط غير الحسد؛ لأنه تمني النعمة من دون تمني زوالها عن غيره[5]. وقد وقد ورد النهي عن الحسد صراحة في القرآن والسنة، من القرآن: قوله تعالى: ﴿وَمِن

1- ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 131/9.

2- ينظر: صفوة التفاسير 41/2.

3- ينظر: الصحاح للجوهري، 2/ 465.

4- القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، سعدي أبو حبيب، دار الفكر- دمشق، ط- 2، 1408هـ- 1988م، ص- 88.

5- ينظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط- 1، 2001م، 168/4.

شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[1]. ومن السنة قوله- صلى الله عليه وسلم: "لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا".[2]

الحسد من بين أسوأ الذنوب عند الله عز وجل، وهو أن يرغب الإنسان في أن يمتلك المعاصي التي يفعلها غيره. وينشأ التحاسد في الدين نتيجة فرط المحبة لطاعة الله تعالى، وفي الدنيا نتيجة فرط المحبة للدنيا. وقد يكون الحسد ناتجًا عن الكبرياء، أو العجب، أو حب الرياسة والمنزلة، كما قد ينبع من العداوة والبغضاء، وهو أشد أنواع الحسد ضررًا؛ إذ قد يدفع صاحبه إلى السعي لهلاك النفوس والأموال. الحسد لا يتصور لمحبوب؛ لأن المحب يتمنى زيادة النعم للمحبوب ولا يرغب في زوالها عنه. وقد يحدث التحاسد بسبب تفضيل دنيوي، مثل إيثار الأب أحد أبنائه أو الزوج إحدى زوجاته، أو بين أرباب الصناع، أو بسبب الإعجاب بالفضائل في الأنساب، أو التماثل فيها كالأخوة وبني الأعْمام الذين قد يحسد بعضهم بعضًا، وكذلك يحسد العِباد العلماء علماء آخرين.[3]

وللحسد ثلاث مراتب:

أحدها: أن يحسد غيره على ما أعطاه الله من النعـم، ويتمنى زوال ذلك عنه، ويرتب على ذلك الحسد مقتضاه من الأذى بالقلب واللسان والجوارح، وهذا أعظم أنواع الحسد.

1- سورة الفلق، الآية: 5.

2- أخرجه مسلم في صحيحه: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، 1431، 1986/4، باب تحريم ظلم المسلم، رقم الحديث: 2564.

3- ينظر: مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي، تحقيق: خالد الطباع، دار الفكر- دمشق، ط- 1، 1416هـ- 1995م، ص- 152.

ثانيهما: تمني استصحاب عدم النعمة، فهو يكره أن يحدث الله لعبده نعمة، ويحب أن يبقى على حاله من جهل، أو فقر، أو ضعف، أو شتات قلبه عن الله، فهو يتمنى دوام ما هو فيه من نقص وعيب.

ثالثهما: حسد الغبطة، وهو تمني أن يكون له مثل حال المحسود، من غير تمني أن تزول النعمة عنه، فهذا لا بأس به، ولا يعاب صاحبه، وهو محمود إن تمنى ما فيه خير من نعم يستعين بها على طاعة الله، وينفع بها الناس، وأعمال صالحة يكسب بها الأجر وينال عليها الثواب في الآخرة، وهذا قريب من المنافسة في الخيرات[1].

ويظهر الحسد في السورة في قوله تعالى :﴿إِذ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحنُ عُصبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ نجد إخوة يوسف أصابهم الحسد، لما وجدوه من حب يوسف وأخوه من قبل يعقوب، ولا سيم أنهم عصبة، والعصبة هم العدد من العشرة فصاعدا، ويرون أنهم أولو قوة، وأنهم قادرون على دفع الظلم عنه، وبهم يقوم معاشه وأسبابه، فكيف يؤثرهما عليهما؟ لأجل حسدهم كادوا ليوسف وفعلوا فعلتهم[2].

هذه آية من أخلاق السوء، وهي التخلص من منافسة الشخص الفاضل بفضله من قبل من هو دونه أو مساويه، وذلك بإزالة صاحب الفضل، وهذه أعظم جريمة، لأنها تتضمن الحسد، والإضرار بالآخرين، وانتهاك أوامر الله بالحفظ، وكان

1- ينظر: موسوعة فقه القلوب، محمد إبراهيم بن عبدالله التويجري، بيت الأفكار الدولية، 3163/4.

2- ينظر: بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، 181/2. تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: مجدي بسلوم، دار الكتب العلمية- بيروت، ط- 1، 1426هـ- 2005م، 211/6.

هؤلاء من أهل الدين ومن بيت النبوة، وقد أصلح الله حالهم بعد ذلك وأثنى عليهم وسماهم الأسباط.[1]

الحسد خلق مذموم ومرفوض، ويجب أن نربي أبناءنا على ذمه وكرهه، وأن نعلّمهم الاستعاذة بالله منه، ومن مكائد الشيطان، والمداومة على ذكر الله، وعدم مقارنة أحوالهم بأحوال الآخرين، مع الاستشهاد لهم بقصص واقعية تُبين كيد الحاسدين وعقابهم.

فالحسد خلق مذموم وصاحبه مبغوض، فعلينا أن نربي أبناءنا على ذم الحسد.

الخاتمة:

من خلال كتابة البحث توصلت لعدة نتائج، أهمها:

- سورة يوسف مكية، ولكن أسلوبها يختلف عن الأسلوب المكي.
- انفردت السورة بقصة يوسف عن غيرها من السور الأخرى.
- ينبغي للمسلم أن يتحلى بالأخلاق والقيم المحمودة التي أمر بها الشارع الحكيم.
- الابتعاد عن الصفات المذمومة التي تسبب في هدم المجتمعات الإسلامية.

1- ينظر: التحرير والتنوير، سبق الإشارة إليه، ج- 12، ص- 223.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ-1974م.

2. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) دار المعرفة- بيروت.

3. الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل 2. أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية- بيروت، ط- 1، 1415هـ.

4. البرهان في علوم القرآن، أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط- 1، 1376هـ 1957م.

5. تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: مجدي بسلوم، دار الكتب العلمية- بيروت، ط- 1، 1426هـ- 2005م.

6. التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ، ط: 1، 1403هـ- 1983م.

7. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر- تونس، 1984هـ.

8. التفسير الوسيط، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط-1، 1393هـ- 1973م.

9. التوجيه والإرشاد النفسي، حامد عبدالسلام زهران، عالم الكتب، ط- 3.

10. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط–1، 2001م.

11. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية– القاهرة، ط1، 1384هـ–1964م.

12. الذريعة إلى مكارم الشريعة، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ) تحقيق: أبو اليزيد أبو زيد العجمي دار النشر: دار السلام– القاهرة ، 1428 هـ– 2007 م.

13. الرسالة القشيرية: عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك القشيري (المتوفى: 465هـ) تحقيق: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.

14. زاد المسير في علم التفسير جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي– بيروت، ط–1، 1422هـ.

15. سنن الترميدي، محمد بن عيسى بن سَورة الترميذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبدالباقي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي– مصر، ط:2، 1395هـ– 1975م.

16. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ) تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين– بيروت ط: 4،1407 هـ– 1987 م.

17. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط:1، 1422هـ.

18. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي–بيروت.

19. الطريق إلى الامتياز، إبراهيم الفقيه، دار الراية للنشر والتوزيع، ط–1، 1430هـ– 2009م.

20. العين، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي– إبراهيم السمرائي، دار ومكتبة الهلال.

21. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة– بيروت، 1379هـ.

22. القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، سعدي أبو حبيب، دار الفكر– دمشق، ط–2، 1408هـ– 1988م.

23. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، دار الكتاب العربي–بيروت، ط–3، 1407هـ.

24. لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، خرج أحاديثه أبو عبدالله محمود بن الجميل، دار البيان الحديثة القاهرة، ط1، 1423هـ.

25. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية– بيروت، ط–1، 1422هـ.

26. مدارج السالكين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي– بيروت، ط–3، 1416هـ– 1996م.

27. مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الارناؤوط وآخرون، مؤسسه الرسالة، ط2، 1421 هـ 2001.

28. المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد، مكتبة بن تيمية، ط2.

29. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ- 1979م.

30. مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل، أبو محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي، تحقيق: خالد الطباع، دار الفكر- دمشق، ط-1، 1416هـ-1995م.

31. موسوعة الأخلاق الاسلامية، مجموعة من الباحثين بإشراف علوي بن عبدالقادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net.